# النفس بين الفلسفة والعلم

الكتاب: **النفس بين الفلسفة والعلم**

المؤلف: **خالد بن تركي آل تركي**

تصنيف: **فلسفة**

الناشر: **ملهمون للنشر والتوزيع**

الطبعة الأولى: **فبراير** 2017

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978 - 9948 - 09 - 832 - 4

جميع حقوق الطبع و إعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة **لملهمون للنشر والتوزيع**، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من **ملهمون للنشر والتوزيع**.

darmolhimon@gmail.com darmolhimon @Dar_Molhimon @DarMolhimon

خالد بن تركي آل تركي

# النفس بين الفلسفة والعلم

# الإهداء

إلى من ربياني صغيرا، وتعبا من أجلي،

إلى أمي وأبي،

حفظهما الله من كل سوء، وأطال في عمريهما، ومتعهما بالصحة والعافية..

أهدي لهما هذا الكتاب

# مقدمة

بدأت فكرة هذا الكتاب عندما كنت أبحث عن موضوع النفس عند الفلاسفة القدماء والمعاصرين، والفرق بين النظرة الفلسفية للنفس والنظرة العلمية، وفي الواقع لم أجد كتابا يتناول تلك الموضوعات بشكل مفصل وبصورة واضحة وبطريقة مرتبة، على الأقل في مكتبتنا العربية،على الرغم من أن هناك بعض الكتب التي تتعلق بتاريخ علم النفس ومذاهبه، تحدثت عن هذه المواضيع، ولكن باختصار شديد، أو تحتوي على مصطلحات وقضايا فلسفية غير مفهومة لمن ليس لديه اطلاع على الفلسفة بشكل عام، ومعظمها قد اكتفت باستعراض النفس عند الفلاسفة، ثم الدخول مباشرة في مرحلة استقلال علم النفس عن الفلسفة، دون توضيح لماهية العلم أولا، وخصائص المعرفة العلمية، والفرق بين العلم والفلسفة ونحو ذلك، وكذلك كتب الفلسفة بطبيعتها لم تتحدث بإسهاب في موضوع النفس، لأن الفلسفة لديها موضوعات أخرى كثيرة ومتعددة.

لذلك كان هذا الكتاب الذي بين يديك، ليكون شاملا لموضوع النفس البشرية عند الفلاسفة، وفي عصر العلم الحديث، وتوضيح لمعنى العلم وتعريفه وخصائصه، كل ذلك بأسلوب واضح ومختصر اختصارا غير مخل بالمعنى.

وقد تناولت في الفصل الأول الفلسفة بشكل عام، وأهم الفلاسفة ورؤيتهم للنفس، والفصل الثاني يتحدث في بدايته عن العلم وخصائصه، ثم استقلال علم النفس عن الفلسفة، ثم أشهر المدارس والنظريات النفسية.

وأسأل الله أن يكون هذا الكتاب إضافة متميزة لمكتبتنا العربية، وأن ينتفع به كل باحث ومهتم في مثل هذه القضايا.

والله وليّ التوفيق

خالد بن تركي بن ظفر آل تركي

٢٠١٧/٢٠١٦

# النفس في ميدان الفلسفة

## *مفهوم الفلسفة وأشهرالفلاسفة:

إن أصل كلمة (فلسفة) هي لفظة يونانية، وهذه اللفظة مركبة من جزئين هما(فيلا) و(سوفيا)،وتعني باختصارحب الحكمة، ويعتقد البعض أن(فيثاغورس) هوأول من وضع هذه الكلمة، حيث قال:«لست حكيما،ولكنني محب للحكمة»

(محمد شحاته، ص٢٦، ٢٠٠٤).

وللفسلفة تعاريف كثيرة ومتعددة، أبرزها ما يلي:

١- تعريف أفلاطون: يرى أفلاطون أن الفلسفة هي البحث عن حقائق الموجودات ونظامها الجميل لمعرفة المبدع الأول، ولها شرف الرئاسة على جميع العلوم.

٢- تعريف أرسطو: الفلسفة هي العلم العام،وفيه تعرف موضوعات العلوم كلها، فهي معرفة الكائنات وأسبابها ومبادئها الجوهرية وعلتها الأولى.

٣- تعريف الفارابي: الفلسفة هي العلم بالموجودات بما هي موجودة.

٤- هيغل: الفلسفة هي معرفة الحقائق الثابتة .

(مصطفى حسيبة، ص٤٧٠، ٢٠١٢م).

وللفلسفة ثلاثة مباحث:

١- مبحث الوجود: وهذا المبحث يختص بالبحث عن أصل الكائنات، ومصير الموجودات، أي معرفة حقائق الوجود بشكل عام.

٢- مبحث المعرفة: وهذا المبحث يختص بكيفية معرفة الوجود المحيط بنا، هل نعرفه من خلال العقل أم الحواس أم الحدس أم بها جميعا؟

وكذلك يختص بطريقة إدراك الحقائق، هل ندرك العالم كما هو عليه في الواقع أم أننا نضيف عليه صورا ذهنية ليست في طبيعة هذا الواقع؟

وغير ذلك من تلك التساؤلات.

٣- مبحث القيم: يتعلق هذا المبحث بالمثل العليا التي ينشدها الإنسان لذاتها، وليس من أجل غرض يبتغيه من ورائها.

ويفرق الفلاسفة بين نوعين من القيم، النوع الأول هي القيم المطلقة، حيث أن القيم المطلقة هي التي يرغب الإنسان فيها لذاتها، مثل السعادة، وتتميز القيم المطلقة بأنها تحمل قيمتها في ذاتها، ويتفق عليها جميع الناس في تقديرهم لها في كل زمان ومكان.

وقد اتفق جميع الفلاسفة على أن أسمى القيم المطلقة ثلاث:

١- الحق: ويهتم بعلم المنطق.

٢- الخير: ويهتم بعلم الأخلاق.

٣- الجمال: ويختص بكل ما ينبغي أن يكون عليه الشيء الجميل.

أما النوع الثاني من أنواع القيم فهي القيم النسبية، وتعني القيم أوالأهداف التي ينشدها الإنسان بشكل مؤقت،على سبيل المثال الدواء،فإن الإنسان عندما يمرض فإنه يحتاج للدواء للشفاء والتخلص من المرض، وهو في هذه الحالة يريد الدواء لغرض الشفاء فقط، وليس حبا في الدواء.

(محمد شحاته، ص٢٧-٢٩، ٢٠٠٤م).

ولابد من الإشارة إلى أن الفلسفة كانت في بدايتها تبحث عن أصل الوجود والصانع والمادة التي أوجد منها، وفي عهد سقراط اتجهت الفلسفة نحو البحث في ذات الإنسان، والإيمان بالخالق،واستخدام الدليل العقلي في إثباته، ولذلك قيل: إن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، أي أنه قام بتحويل التفكير الفلسفي من التفكير في الكون وعناصره إلى التفكير في الإنسان.

(مصطفى حسيبة، ص٤٦٩، ٢٠١٢م).

وبعد مجيء أفلاطون تلميذ سقراط، توسعت الفلسفة في بحثها وموضوعاتها، حيث تحدث أفلاطون عن الأخلاق والسياسة ونظرية المعرفة والمثل.

وهكذا أصبحت الفلسفة تتطور وتتوسع في موضوعاتها، حتى أصبحت أكثر تعقيدا وتشابكا في مواضيعها،وتحديدا بعد ظهور الديانة المسيحية بقرنين أو أكثر.

(مصطفى حسيبة، ص٤٧٣، ٢٠١٢م).

## *النفس عند الفلاسفة:

# الفلسفة اليونانية (الحضارة الإغريقية):

١- سقراط (٣٩٩-٤٧٠ق.م).

هو أحد أشهر وأهم فلاسفة اليونان، ولد وعاش في أثينا، وكان يتميز بالتواضع والبساطة في كل شيء، وقد كان سقراط يمتاز بسرعة الفهم وحدة الذهن، وتعتبر حوارات تلميذه أفلاطون المصدر الأساسي لما نعرفه عن سقراط.

وقد نهى سقراط الرؤساء عن عبادة الأوثان، فاتهموه بالإلحاد، وإنكار آلهة اليونان وإفساد عقول الشباب، لذلك تم الحكم عليه بالإعدام من خلال سقايته بالسم، وتوفي سقراط وعمره سبعون سنة.

(الفقي، ص٤٨، ٢٠٠٩م).

ولقد كان سقراط يؤمن بإله واحد فقط، ويؤمن بأن الموت لن يقضي عليه تماما، وكان يعتقد ويؤمن بأن هناك شريعة أخلاقية

أبدية لا يمكن أن تقوم على دين ضعيف كالدين الذي آمنت به أثينا في ذلك الوقت.

(ول ديورانت، ص١٣، ٢٠٠٤م).

#النفس عند سقراط:

كان سقراط ينظر للإنسان على أنه مكون من روح وعقل، وكان يعتقد بخلود النفس، وكان يرى أن صفاء النفس هو أساس السعادة، وأن قمة السعادة هي العلم والفضيلة، ويربط سقراط بين العلم والفضيلة، ولكي يكون الإنسان فاضلا لابد أن يكون متعلما، والفضيلة عند سقراط هي الاعتدال الذي يعني أن يحفظ الإنسان ذاته في اتزان صحيح دون إفراط.

(الفقي، ص٥٠-٥٣، ٢٠٠٩م).

٢- أفلاطون (٣٤٧-٤٢٧ق.م)

هو أحد أهم وأعظم فلاسفة اليونان،واسمه هوأرسطوقليس، ولقب بأفلاطون لضخامة جسمه، ولد في أثينا لعائلة أرستقراطية.

ويعتبر أفلاطون أول من وضع نظاما فلسفيا متكاملا وشاملا لجميع المواضيع التي أثيرت قبله وبعده، وقد قال عنه الفيلسوف

الانجليزي الفرد نورث وايتهيد: « إن الفلسفة الغربية ليست سوى سلسلة من الملاحظات حول فلسفة أفلاطون»

(النجار، ص٥٩، ٢٠١٣م).

كان أفلاطون يرى أنه لا يمكن فهم السياسة مالم نفهم علم النفس، حيث أن الحكومات تختلف باختلاف الرجال، وتستمد الدولة شكلها من مواطنيها، وحتى تكون الدولة في أفضل أحوالها لابد من أن يكون الرجال في أفضل احوالهم، ويعتقد أفلاطون أن السلوك الإنساني يجري من منابع ثلاثة، الرغبة والعاطفة والمعرفة.

(ول ديورانت، ص٢٦، ٢٠٠٤م).

ويقسم أفلاطون النفس إلى ثلاثة أقسام:

١- النفس العاقلة: ومكانها الرأس، وفضيلتها الحكمة ورذيلتها الجهل، وتوجد لدى طبقة الفلاسفة والحكام.

٢- النفس الغضبية: ومكانها القلب، وفضيلتها الشجاعة ورذيلتها الجبن، وتوجد لدى طبقة الجند والحراس.

٣- النفس الشهوانية: ومكانها البطن، وفضيلتها العفة ورذيلتها الدناءة، وتوجد لدى عامة الشعب.

(الفقي، ص٥٦، ٢٠٠٩م).

وكان أفلاطون يؤمن بأهمية الموسيقى،وأثرها الإيجابي على الصحة النفسية والعضوية، حيث يرى أن الموسيقى ثمينة ونفيسة، ليس لمجرد أنها تحدث الصفاء في الشعوروالخلق، وإنما لأنها تحفظ وتسترد الصحة، حيث إن هناك كما يعتقد أفلاطون بعض الأمراض التي لا يمكن معالجتها إلا عن طريق العقل، ويرى أفلاطون كذلك أن النفس تتعلم من خلال الموسيقى الإيقاع والانسجام والتناغم ومحبة العدل، ويرى أفلاطون أن الدمج بين الرياضة والموسيقى يعطي نتائج أفضل،لأن الإفراط في الموسيقى يضعف الإنسان، والإفراط في الرياضة يؤدي بالإنسان إلى التوحش، لذلك لابد من الدمج بينهما.

(ول ديورانت، ص٢٩-٣٠، ٢٠٠٤م).

***نظرية المثل:**

المثل عند أفلاطون تعني نماذج للواقع، وتبعا لها تتشكل الأشياء في العالم المرئي، وهذه المثل لا تخضع لمقتضيات وعينا، بل تعرف بواستطه، ويرى أفلاطون أن فكرة الخيرهي أساس جميع المثل، ومن خلاله تستمد المثل وجودها وقيمتها.

(أطلس الفلسفة، ص٣٩، ٢٠١١م).

وعند أفلاطون فإن المثل هي الموضوعات الوحيدة للمعرفة الحقيقية، وهي الوقائع التي لا تتغير، وتشمل المثل الكليات الرياضية مثل الدائرة أو الخط وغيرها، وكذلك تشمل الأشكال والألوان والكليات الأخلاقية كالخيروالعدل، وأيضا تشمل المثل الأجسام المصنوعة والطبيعية وجميع الأشياء الحية، بالإضافة إلى خواص النفوس والأفعال والانفعالات.

(آرمسترونغ، ٦٤-٥٦، ٢٠٠٩م).

ويعتقد أفلاطون أن الوعي منعزل عن الطبيعة، وأن الحقيقة المطلقة تكمن في الوعي أو العقل أو الروح، ويمكن اعتبارالمثل

بأنها اتجاه مذهبي يبحث في أصل المعرفة التي يكون مصدرها العقل فقط.

(مصطفى حسيبة، ص٥٨١-٥٨٢، ٢٠١٢م).

٣- أرسطو(٣٢٢-٣٨٤ق.م)

الفيلسوف أرسطوهوأحد أشهروأهم تلاميذ أفلاطون، ولد في اليونان، وله أعمال عظيمة في البيولوجيا والأخلاق والنفس والمنطق والفلسفة السياسية ونظرية المعرفة وعلم الجمال، ويعتبر أرسطوأول من تحدث عن المنطق وأسس له، ولم يكن أرسطو يسميه المنطق، بل كان يسمى المنطق في ذلك العهد باسم الأورغانون أو آلة الفكر، حيث يعتبر المنطق هو تهيئة عامة لدراسة جميع العلوم، فمن خلال المنطق نصل إلى التفكير الصحيح، وبذلك نصل إلى معرفة الحقيقة، ويتضح من ذلك أنه يمكن اعتبار المنطق دراسة لبنية الفكر العقلي، وتحليل الفكر باعتباره أداة للوصول إلى الحقيقة.

(آرمسترونغ، ص١٠٣، ١٠٦، ٢٠٠٩م).

يقسم أرسطو العلوم إلى قسمين، القسم الأول هو العلم النظري، ومن أمثلة هذا النوع، علم الفيزياء والرياضيات والعلم الإلهي أو ما بعد الطبيعة، وهذا النوع مادته هي الوجود، والغاية منه معرفة الوجود.

أما القسم الثاني فهو العلم التطبيقي، مثل السياسة والأخلاق والفن والشعر، وهذا النوع مادته هي الأشياء المتعلقة بحفظ النوع الإنساني، وحياة الإنسان وتنظيم أفعاله، والغاية من هذا النوع هي سعادة الإنسان.

(النجار، ص٨٥-٨٦، ٢٠١٣م).

ويعتقد أرسطو أن هدف الحياة ليس هو الخير في حد ذاته، بل الهدف الأساسي للحياة هو السعادة، وذلك لأننا نختار السعادة لذاتها، بينما عندما نختار أو نريد المال أو الصحة، فإننا لا نريدها لذاتها، وإنما بسبب اعتقادنا أننا من خلالها سنصل إلى السعادة ونكون سعداء بفضلها.

(ول ديورانت، ص٦١، ٢٠٠٤م).

- النفس عند أرسطو:

يرى أرسطو أن النفس هي صورة الجسد، وأن النفس والجسد يكونان جوهرا واحدا، ويختلف أرسطو مع معلمه أفلاطون في تقسيمه للنفس إلى ثلاثة أقسام، حيث يرى أرسطو أن النفس الإنسانية واحدة ولكن لها ثلاث قوى:

القوة الغاذية: وهي مسؤولة عن نمو الإنسان.

القوة الغضبية أو الشهوانية: وهي مسؤولة عن الإحساس.

القوة العاقلة: وهي المسؤولة عن التفكير.

(النجار، ص٩٩، ٢٠١٣م).

# الفلسفة الإسلامية:

انتقل التراث اليوناني وما فيه من علوم وإسهامات إلى الحضارة الإسلامية من خلال نصارى الشام(السريان)، وذلك لأن العرب لم يكونواعلى علم باللغة اليونانية، حيث قامت حركة الترجمة هذه في العصر العباسي،على الرغم من أنه كان هناك حركة ترجمة في العصر الأموي، ولكنها كانت محدودة.

من أشهرالمترجمين في العصر العباسي: يوحنا البطريق الذي قام بترجمة كتاب أقليدس في الهندسة، وعبدالله بن المقفع الذي قام بترجمة كتاب كليلة ودمنة من الفارسية إلى العربية، ويوحنا بن ماسويه الذي قام بترجمة العديد من الكتب الطبية في عهد هارون الرشيد، وغيرهم من المترجمين.

(محمد شحاته، ص١٢٩-١٣٠، ٢٠٠٤م).

## والآن نأتي إلى أشهر الفلاسفة في عصر الحضارة الإسلامية:

١- الكندي(٨٦٧-٨٠١م):

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح من بني كندة، يعدُّ أول فيلسوف عربي،ولد في مدينة الكوفة، حيث كان والده أميرا عليها، وقد كان الكندي مهتما بالفلسفة اليونانية، وكان مهتما بكتب أرسطو وأفلاطون.

(محمد شحاته، ص١٤٦، ٢٠٠٤م).

وكان الكندي يرى أن الإنسان هو النفس والجسم آلته، ويعتقد بأن النفس بسيطة ذات شرف وكمال، عظيمة الشأن جوهرها من جوهر الخالق، ويرى كذلك أن النفس تتكامل علما وتزداد سعادة بتركها اللذائذ الحسية، ويرى أن العلم والسعادة يتحققان عندما تغلب القوة العقلية على القوتين الشهوانية والغضبية، حيث يبين الكندي أنه لا سبيل للنفس لكي تبلغ السعادة الأبدية إلا من خلال التطهر من الأدناس، ويرى

الكندي أن شرب السم أهون من معاناة الحزن، وله رسالة في ذلك أسماها (دفع الأحزان).

يعرف الكندي الحزن بأنه ألم نفساني يعرض لفقد المحبوبات أو فوت المطلوبات، ويرى أنه إذا أراد الإنسان أن يتجنب الحزن يجب أن لا تكون مطالبه الأمور المادية، بل يتعداها إلى الأمور العقلية مثل الفضائل الخلقية، والسبب في ذلك كما يرى الكندي، أن تلك الفضائل لا تنالها الآفات ولا يلحقها الممات، ويفسر أسباب الحزن، حيث يرى أن الحزن ليس إلا نتيجة العادات السيئة التي بإمكاننا أن نغيرها.

(محمد شحاته، ص١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ٢٠٠٤م).

وقد أراد الكندي أن يجمع بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو، وكان منهجه الفلسفي يعتمد على المنطق الرياضي كما كان يفعل أفلاطون.

يقول الكندي: «إن الحق الكامل لم يصل إليه أحد، وإنه يتكامل بالتدريج بفضل تضامن أجيال المفكرين».

وكان يرى أنه لا يمكن أن يكون الإنسان فيلسوفا إلا إذا أتقن

الرياضيات، وقد ألف الكندي في فن الموسيقى قبل أن تعرفها أوروبا بقرون.

(عبدالحليم منتصر، ص١٠٨-١٠٩، ١٩٧٣م).

٢- الفارابي (٩٤٤-٨٦٤م):

هو أبو نصر محمد بن طرخان، وينسب إلى مدينة فاراب، يسمى بالمعلم الثاني، وسبب هذه التسمية أنه يلي أرسطو المعلم الأول في براعته في المنطق والفلسفة.

من أهم مؤلفاته: رسالة في معاني العقل، وتحصيل السعادة، وعيون المسائل وغيرها، وكان يرى الفارابي أن النفس الإنسانية هي عبارة عن جوهر روحي قائم بذاته، وكان يرى أن الإنسان بحاجة إلى الاجتماع مع أمثاله من الناس، لكي يعيش حياته الاجتماعية، ويعتبرأن الإنسان مدني بطبعه، ويعتقد الفارابي أن الحياة الاجتماعية للإنسان هي التي تهيئ للحصول على السعادة.

(الفقي، ص٦٩،٧٠،٧٣، ٢٠٠٩م).

٣- ابن سينا (١٠٣٦-٩٨٠م):

هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا، ولد في بخارى، اشتهر في الطب والفلسفة، يعتبرالمعلم الثالث للإنسانية بعد أرسطووالفارابي.

يعتبر كتابه (القانون في الطب) من أشهر كتبه، ويتميز كتابه هذا بالسلاسة في الأسلوب، والوضوح في البيان، والدقة العلمية، وقد تناول في كتابه هذا علم وظائف الأعضاء وعلم الأدوية وعلم الامراض ومعالجتها وعلم الصحة. وقد تمت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية، وتمت طباعته في أوروبا خمس عشرة مرة،وله مؤلفات أخرى في النفس والفلسفة والموسيقى وغيرها.

(عبدالحليم منتصر، ص٩٤-٩٥، ١٩٧٣م).

وقد درس ابن سينا أفكار أفلاطون وأرسطو في كل ما يخص موضوعات علم النفس، وكان يرى أن موضوع علم النفس هو النفس والجسد لأنهما يشكلان جوهرا واحدا غير منفصل، ويقدم ابن سينا براهين لإثبات النفس، وهي، أولا البرهان الطبيعي: يقوم على أن الجسم ليس مصدرا للحركات التي يقوم بها، بل يتقبلها عن مصدر آخر وهو النفس، البرهان الثاني: ويسمى برهان وحدة الظواهر النفسية، يقوم على أن الإنسان

ما هو إلا مجموعة من الأفعال والوظائف النفسية مثل الكلام والتعجب والفرح والبكاء، وكذلك مجموعة من العمليات العقلية التي تتوصل إلى إدراك المعاني المجردة والمستنبطة من الأمثلة الحسية، والبرهان الثالث : يسمى برهان الاستمرار، وهو يعني أن الحاضر يحمل في طياته الماضي ويعد للمستقبل، وذلك يعني أن النفس مستمرة من الولادة حتى آخر الحياة، البرهان الأخير: وهو برهان الرجل الطائر أوالمعلق في الفضاء،وملخص هذا البرهان هوأن إثبات وجود الإنسان ليس ناتجا عن حواسه أو جسمه، وإنما ناتج عن النفس، ويعتبر هذا البرهان أقوى البراهين على إثبات وجود النفس، أما سبب تسمية البرهان بهذا الاسم فهو لأن ابن سينا افترض لوأن شخصا خلق مكتمل القوى النفسية والعقلية، وتمت تغطية بصره، والتفريق بين أعضائه لكي لا تتلامس لما شك ذلك الإنسان بأنه موجود، لأن النفس هي من سيثبت بأنه موجود.

(الفقي، ص٧٤-٧٥، ٢٠٠٩م).

ويعتبر ابن سينا أول من اكتشف العامل النفسي في إنتاج المرض العقلي، ويعتبر المؤسس الأول للطب السيكوسوماتي في بيان علاقة الأمراض الجسمية كاستجابات للاضطرابات النفسية.

ويعتبر ابن سينا كذلك أول من استخدم التحليل النفسي في علاج مرضاه، ولا سيما طريقة الايحاء.

(حسن مصطفى، ص٣٢، ١٩٩٨م).

#الفلسفة في عصر النهضة:

عندما بدأت شمس الحضارة العلمية العربية تميل إلى الغروب، بدأ عصر الحضارة الأوروبية، فلقد شعر الأوروبيون بتخلفهم عن العرب، فقاموا بترجمة الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية، وكان ذلك في القرن الثالث عشر. من أبرز العلماء الذين اشتهروا في تلك الحقبة الزمنية: روبرت جروست، وروجر باكون، وقد بدأ عصرالأسفار والرحلات في القرن الرابع عشر، واتسعت التجارة مع المشرق، وأصبحت العقاقير تأتي إلى أوروبا من البلاد الأخرى، وبدأ الاهتمام بدراسة الحضارات القديمة والعلوم اليونانية وإسهامات الحضارة العربية.

وقد كان لاختراع الطابعة في منتصف القرن الخامس عشر أثر كبير، حيث قد ساهم مساهمة كبيرة في دفع عجلة النهضة العلمية الأوروبية.

ومع بداية القرن السابع عشر بدأ عصر النهضة العلمية الحقيقية في أوروبا، وبدأ التفكير العلمي الاستقرائي المجرد،

ومن أشهر علماء هذه الحقبة الزمنية: فرنسيس بيكون، وفابركبيرسك، وبير جاسندي، وعلى رأسهم جميعا رينيه ديكارت .

(عبدالحليم منتصر، ص٢٠٦-٢٠٧، ١٩٧٣م).

ولأهمية الإسهامات التي قام بها كل من فرنسيس بيكون ورينيه ديكارت، فسنتحدث عنهما بشيء من التفصيل.

١- فرنسيس بيكون (١٦١٦-١٥٦١م).

ولد بيكون في عام ١٥٦١م مدينة لندن، وعندما بلغ الثانية عشرة تم إرساله إلى كلية الثالوث في جامعة كمبردج، وبقي فيها مدة ثلاث سنوات، ثم تركها بسبب عدم إعجابه بكتبها وطريقة تعليمها، وعندما بلغ بيكون سنة السادسة عشر، عرض عليه وظيفة مع السفير الإنجليزي في باريس، وقد وافق بيكون على هذا العرض، وقد كان يرى أن مولده وتربيته وثقافته عوامل جعلته يتجه نحو السياسة دون الفلسفة، رغم أنه عاشق للفلسفة، وكان يرجو أن يكون فيلسوفا وسياسيا في نفس الوقت، وكان بيكون يرى أن المعرفة إن لم تكن مقرونة بالعمل فإنها ليست سوى زهووغرورعلمي شاحب، وكان يرى أن العلم هو الطريق للحياة السعيدة، وكان يمجد مهنة الطب، ويشبهها بالآلة الموسيقية بديعة الصنع والألحان، وكان يعترض على تساهل الأطباء في

التجارب الطبية واعتمادهم على مجرد تجارب فردية، ويرى أنه ينبغي على الأطباء التوسع في تجاربهم وإلقاء الضوء على جسم الإنسان بالتشريح، وكذلك تشريح أجسام الحيوانات الحية إذا استدعت الضرورة ذلك من أجل الأغراض العلمية.

(ول ديورانت،ص٨٨،٩٠٨٩،٩٢،٩٨،٩٩، ٢٠٠٤م).

وقد كان بيكون يرى أن العلم التجريبي يجب أن يستخدم الاستقراء،، ويرجع الفضل إلى بيكون في تأكيد أهمية الاستدلال الاستقرائي للعلم التجريبي، وكان يرى أن الاستدلال الاستنباطي قاصر، وأنه لا يمكن للاستدلال الاستنباطي أن يأتينا بالمناهج التي ننتقل بها من الوقائع الملاحظة إلى الحقائق العامة، وبالتالي إلى تنبؤات متعلقة بمزيد من الملاحظات، ويرى بيكون أن الاستقراء أهم وسيلة للكشف والاختراع، لأنه يقودنا من الوقائع الجزئية إلى التعميمات العامة.

إن المبدأ الذي تقوم عليه نظرية بيكون في الاستقراء هو أنه لا يكفي للبرهنة على صحة التعميم أن يأتي مؤيدا بحالات كثيرة، إذ أن حالة واحدة معارضة تكفي لنقضه، فالحالات التي تنقض هي عند بيكون أهم في البحث العلمي من الحالات المؤيدة.

(حسين علي، ص١٣٦، ١٤٢، ٢٠١٠م).

٢- رينيه ديكارت (١٦٥٠-١٥٩٦م).

ولد ديكارت في فرنسا في عام ١٥٩٦، ويعرف ديكارت بأنه أبو الفلسفة الحديثة، وسبب هذه التسمية، هوأن ديكارت اختط طريقا آخر جديدا للفلسفة اتبعه كثير من الفلاسفة حتى يومنا هذا، حيث كان قبل ديكارت يطغى على الفلسفة المنهج الأرسطي، فقد كان أتباع المنهج الأرسطي يرون أن المعرفة والعلوم لها عدة فروع كالرياضيات والفيزياء وغيرها، ورفض ديكارت هذا التقسيم للمعرفة معللا ذلك بأن الحقيقة واحدة، وبالتالي يجب أن يكون الأسلوب واحدا في كل فروع المعرفة والعلوم، وقد كان ديكارت يهتم بمسألة المعرفة، أي كيف نعرف ما نعرفه، أو هل هناك من شيء نعرفه أم لا، وكان يرى أن العقل هو مصدر المعرفة، وليس الخبرة أو التجربة الحسية.

(النجار، ص١٧٥-١٧٨، ٢٠١٣م).

وكان ديكارت يعتبر أن العقل والجسم مادة، ولكنهما مختلفان، فمادة الجسم تشغل حيزا من الفراغ، أما مادة العقل فلا تشغل حيزا من الفراغ، وتتميز بخاصية التفكير والشعور،

والشعور في نظر ديكارت هوأهم خاصية للعقل، ويقصد بالشعور المعنى الشامل الذي يتناول جميع الحالات الشعورية من تفكير وتذكر وإدراك وتصور وانفعالات ورغبات.

(خليل ميخائيل، ص٢٨-٢٩، ٢٠٠١م).

# النفس في ميدان العلم

## *مفهوم العلم وتاريخه:

لقد كان في السابق يتم إطلاق مصطلح العلم على المعارف العامة، ولكن الاستعمال الحديث لهذا المصطلح قد حدد مدلولها، وجعلها تختص فقط بكل ما يتضمن التجربة والمشاهدة والاختبار، وهو ما يسمى الآن بالعلوم الطبيعية، كعلم الكيمياء والفلك والنبات والحيوان والرياضيات وتطبيقاتها في مجال الهندسة والطب والزراعة والصيدلة.

ولقد تعددت واتسعت وتفرعت مجالات العلم،وأصبح من الصعب حصرها أو وضعها تحت عنوان واحد، ولكن الإنسان في العصر الحديث استطاع بما اكتسبه من خبرة أن يصنف هذه المعارف وأن يوضح ما يربطها من صلات، وأن يستنبط كذلك القوانين من المشاهدات والتجارب والملاحظات، ثم يتم بعد ذلك استقراء الفروض والقوانين والنظريات منها، حيث تسمى هذه الطريقة الطريقة العلمية، وأصبح العلم عملية متغيرة وغير ثابتة، وأصبح العلم كذلك يصنع المعرفة عن طريق البحث العلمي المنظم، والاستقراء المنطقي لنتائج البحوث، وكما هو معروف أن النتائج العلمية متصل بعضها ببعض، ومعتمد

بعضها على بعض، لذلك تكمن هنا أهمية دراسة العلم وتاريخه، ويرى البعض أن فرنسيس بيكون هو مبتدع ما يسمى بالطريقة العلمية، رغم أنه ثبت أن عددا من العلماء العرب كابن الهيثم وغيره قد سبقوا بيكون بمئات السنين في تطبيق الطريقة العلمية والأخذ بها.

(عبدالحليم منتصر، ص١٤-١٥، ١٩٧٣م)

ويرى بعض المؤرخين الغربيين أن العصورالعلمية تنقسم إلى قسمين، الأول العصرالاغريقي الذي يمتد من سنة ٦٠٠ ق.م إلى سنة ٢٠٠م، والعصر الثاني عصر النهضة الذي بدأ من سنة ١٤٥٠م، ونلاحظ أنهم قد أغفلوا العصرالإسلامي الزاهرالذي احتوى على علماء لهم إسهامات عظيمة، مثل ابن الهيثم وابن سينا والبيروني وابن رشد والفارابي وجابر ابن حيان والكندي وغيرهم، وقد أنصف سارتون العلماء العرب، حيث ذكر في كتابه تاريخ العلم أن العلم العربي يحتل في العصور الوسطى المكانة التي كان يمثلها العلم في عصر الحضارة اليونانية، ويذكركذلك كاربنسكي أن الإسهامات التي قدمها العلماء العرب لمختلف العلوم غير مقدرة حق قدرها من المؤرخين، ويوضح كاربنسكي

أن العرب لم يقتصروا على نقل العلوم من اليونانيين فقط، وإنما زادوا عليها، وقاموا بإضافات هامة في سائر الميادين.

(عبدالحليم منتصر،ص١٦، ١٧، ٣١، ٥٦، ١٩٧٣م)

ويقول درابر: « لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئا عن الأسلوب الذي توخوه في بحوثهم، وهوأسلوب اقتبسوه من اليونانيين، فقد تحققوا أن الأسلوب العقلي وحده لا يؤدي إلى التقدم، وأنه ينبغي أن تجرى المشاهدات والتجارب، وهذا الأسلوب العلمي التجريبي هو الذي دفعهم إلى هذا التقدم الباهر في الهندسة والمثلثات والجبر والفلك والطبيعة وغيرها، فالعلماء العرب هم واضعو أسس البحث العلمي بالمعنى الحديث».

(عبدالحليم منتصر،ص٦٠، ١٩٧٣م).

وكلمة العلم في اللغة العربية تحمل معنيين مختلفين، الأول، وهو معنى واسع يرادف المعرفة، مثل قوله تعالى: (وقل ربي زدني علما)، أي زدني معرفة، وكذلك عندما يقول أحدهم: لا علم لي بهذا الموضوع، أي لا أعرف عنه شيئا، والمعنى الثاني للعلم هو الذي يرادف العلم التجريبي، مثل علم الفيزياء والكيمياء وغيرهما، وهونوع من المعرفة المنظمة التي تهدف إلى الكشف عن أسرار الظواهر الطبيعية بالوصول إلى القوانين التي تتحكم في

مسارها، لكي تتم السيطرة على الطبيعة لصالح الإنسان، وبناء على ذلك فإن العلم بشكل عام هوالمعرفة وإدراك الشيءعلى ما هو عليه، أما العلم بشكل خاص فإنه يعني دراسة لها موضوع محدد وطريقة ثابتة، نتوصل من خلالها إلى مجموعة من المبادئ والقوانين، وينصب العلم على القضايا الكلية والحقائق العامة المستمدة من الوقائع الجزئية، غير أن تعريف العلم بأنه كل المعرفة لن يكون تعريفا صالحا، وذلك لوجود أنواع مختلفة من المعرفة، وهذه الأنواع تختلف باختلاف إطار التجربة التي تندرج فيه، ويستنتج من ذلك أن مفهوم المعرفة ليس مرادفا لمفهوم العلم، فالمعرفة أوسع حدودا ومدلولا وأكثر شمولا وامتدادا من مفهوم العلم، والمعرفة في شمولها تتضمن معارف علمية ومعارف أخرى غيرعلمية، لذلك يمكن القول: إن كل علم معرفة، وليس كل معرفة علم،والتفريق بين النوعين يرجع إلى أساس قواعد المنهج وطرق التفكيرالتي يتم اتباعها والأخذ بها لتحصيل المعارف، فعندما يسلك الباحث قواعد المنهج العلمي من أجل التعرف على الأشياء والكشف عن الظواهر، فإن المعرفة عندئذ تصبح معرفة علمية، وعلى ذلك يمكن القول: إن العلم نوعان، علم نظري يختص بتفسيرالظواهروتوضيح القوانين التي تحكمها مثل الفيزياء والرياضيات، وعلم عملي يهدف إلى تطبيق القوانين النظرية على الوقائع والحالات الجزئية، وإذا نظرنا إلى العلم من الناحية النظرية فإنه سيتساوى مع غيره

من المباحث الإنسانية كالفلسفة والفن وغيرها، أما إذا نظرنا إلى العلم من الناحية التطبيقية فسيكون له أهمية اجتماعية كبرى، والعلم ليس مقصورا على المعامل وما فيها من أجهزة وأدوات، فالعلم هو كل تفكير منظم يستمد الحقائق من خلال المشاهدة الدقيقة والتجربة، ثم يرتبها ويربطها في نسق يضمها معا فيفسرها.

(حسين علي، ص١١-١٤، ٢٠١٠م).

## *علاقة الفلسفة بالعلم:

كانت جميع العلوم مرتبطة بالفلسفة، ولم يكن هناك تمييز بين العلم والفلسفة، ولم يتم التفريق بين العلم والفلسفة إلا بعد أن قام نيوتن بالتمييز بين النتائج العلمية التي تقوم على الملاحظة المباشرة وبين الفروض الميتافيزيقية التي لم يجد مبررا لإقحامها في مجال علمه، وفي العصور الحديثة بدأ العلم ينفصل تدريجيا عن الفلسفة من خلال رواد البحث العلمي، وعلى رأسهم نيوتن، حيث لجؤوا إلى دراسة الظواهر الطبيعية عن طريق الملاحظة والتجربة واختراع الأجهزة والأدوات التي تمكنهم من فهم وتفسير هذه الظواهر، وقد أدى هذا التقدم في مجال العلوم إلى ظهور طريق آخر بجانب طريق الفلسفة، إنه طريق العلم الوضعي الذي يصل بالإنسان إلى الحقيقة، ومن هنا حدثت هناك فجوة بين الفلسفة والعلم، حيث أصبح العلماء ينظرون بعين الشك إلى التأملات الفلسفية التي تفتقر إلى الصياغة الكمية الدقيقة، وكذلك الفلاسفة لم يعودوا يهتمون بالعلوم الجزئية، لأن نتائجها كما يرون تدورحول آفاق ضيقة، ولقد كان هذا التباعد أمرا ضارا بالفلسفة والعلم على حد سواء، ولهذا تنبه علماء القرن العشرين إلى خطورة تلك

الفجوة بين العلماء والفلاسفة، فأصبحوا ينظرون إلى القضايا الفلسفية المتعلقة بعلومهم نظرة جادة، ولقد كان لاهتمام العلماء بالمسائل الفلسفية التي تتعلق بالعلم دليل واضح على ما يمكن أن يستفيده العلم من الفلسفة، فالكثير من التغيرات الأساسية في ميدان العلم كانت تتحقق دائما بالتعمق بحثا عن الأسس الفلسفية للمشكلات والقضايا التي وقفت عائقا أمام طريق العلماء، كذلك فإن تطورالعلم ساهم أيضا بدوره في تغييرالنظرة الفلسفية للعالم والإنسان، ومن أبرزالأمثلةعلى ذلك ما أحدثته النظرية النسبية من تحطيم للزمان الواحد الذي يشمل الكون كله، والمكان الواحد الذي لا يطرأ عليه تغير أوزوال، حيث قامت النظرية النسبية باستبدال الزمان والمكان بشيء واحد يسمى»الزمان- المكان»، حيث ساهمت هذه النتيجة بتغيير فكرتنا عن العالم الطبيعي.

(حسين علي، ص١٦-١٨، ٢٠١٠م).

***خصائص المعرفة العلمية (حسين علي, ص١٩-٣١, ٢٠١٠م)**

١- التعميم:

حيث إن التعميم هو أصل العلم، والتعميم يعني أن القوانين أوالنتائج التي نتوصل إليها ينبغي أن تفسر جميع الحالات المشابهة أو المماثلة لها.

٢- الصياغة الكمية:

المقصود بالصياغة الكمية هوأن نحول الصفات والكيفيات إلى مقادير كمية، ومن أجل تحقيق ذلك فإننا نستخدم لغة الرياضيات التي تعتمد على الكم.

٣- الموضوعية:

المقصود بالموضوعية معالجة الظواهربوصفها أشياء لها وجود خارجي مستقل عن وجود الإنسان، والشيء الموضوعي هوما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد والمشاهدين مهما اختلفت الزاوية التي يشاهدون منها، وكذلك تعني الموضوعية عدم التحيز لنزعات أو أفكار معينة.

٤- الصدق:

مثلا إذا زعم أحد الباحثين أنه توصل إلى نظرية معينة فإنه يكون من حق كل مهتم بالموضوع أن يتحقق من صدق هذه النظرية، وذلك من خلال مراجعة طريقة استنباطها إن كانت مستنبطة، لكي يرى إن كان استنباطها سليما من الناحية المنطقية أم لا، ويراجع أيضا صدق تطبيقها على الواقع، لكي يعلم بالمشاهدة وبالتجارب التي يجريها إن كانت صادقة على الواقع أم لا. والصدق في العلم الاستنباطي كالمنطق والرياضيات هو اتساق البناء، أي عدم تناقض الأجزاء مع بعضها، أما الصدق في العلم التجريبي، كالعلوم الطبيعية، فهو مطابقة قضاياه للواقع.

٥- الثبات:

يقصد بالثبات أن تكون القضية العلمية صادقة في جميع الظروف والمناسبات المشابهة.

٦- اتصال البحث العلمي:

حيث إن الباحث لا يبدأ من فراغ، وإنما يبدأ من حيث انتهى الآخرون، فهو بهذه الطريقة يتقدم العلم ويتطور ويكون متصلا على الدوام، بخلاف الفلسفة، فإن المعرفة الفلسفية

ليست تراكمية، أي أن كل مذهب فلسفي جديد لم يكن يبدأ من حيث انتهت المذاهب الفلسفية التي سبقته، لذلك نجد أن البناء الفلسفي لا يرتفع إلى الأعلى، وإنما يمتد امتدادا أفقيا، فمهما ظهرت اتجاهات فلسفية جديدة فإن المنشغلين والمهتمين بالفلسفة لا يتركون المذاهب الفلسفية القديمة، وإنما تظل هي موضوعهم كذلك.

وينطبق الامتداد الأفقي على الفن كذلك، فمهما ظهرت أنواع جديدة من الفنون فإننا لا نترك الفن القديم أو نهجره، وإنما نظل نتذوقه ونأخذ به،بخلاف المعرفة العلمية، فإنها تمتد نحوالأعلى، فعندما تظهر نظرية علمية جديدة، فإن القديمة تصبح من التاريخ ولا يهتم بها إلا المنشغلون بتاريخ العلم، أما العالم أو الباحث فإنه لا يهتم بالنظريات القديمة، وإنما يكتفي بآخر ما توصل إليه العلم من نظريات جديدة.

٧- نسقية العلوم وتكاملها:

العلوم هي عبارة عن أنساق فكرية، تتدرج من الأعم إلى الأخص، ويعتبر علم المنطق هو أوسع العلوم تعميما، لأن كل العلوم تستخدم قواعد المنطق، فالرياضيات مثلا وعلم الطبيعة وغيرها لابد أن تسير وفق مبادئ المنطق، والعكس غير صحيح، فإن المنطق لايلزمه أن يستخدم شيئا من الرياضيات أو علم

الطبيعة، ويأتي علم الحساب بعد المنطق، وهكذا تتدرج العلوم من الأعم إلى الأخص، ويمكن توضيح ذلك كالتالي:

I- علوم صورية مجردة:

أ- المنطق

ب- الرياضيات والإحصاء

II- علوم تجريبية أو وضعية:

١- العلوم الطبيعية:

أ-علم الفيزياء

ب-علم الكيمياء...إلخ

٢- علوم الحياة:

أ-علم الأحياء

ب-علم الحيوان

ج-علم النبات...إلخ

٣- العلوم السيكوفيزيائية:

أ-علم النفس

ب-علم النفس الطبيعي...إلخ

٤- العلوم الاجتماعية:

أ-علم الاجتماع

ب-علم الأجناس والسلالات البشرية

ج- التاريخ...إلخ

III- العلوم المعيارية:

أ-علم الجمال

ب-علم الأخلاق...إلخ

هذا فيما يخص بنسقية العلوم، أما تكامل العلوم فيشيرإلى أن بعض الظواهر يحتاج في دراسته إلى المعرفة بأكثرمن علم جزئي واحد، فدراسة العمليات الهضمية مثلا تقتضي المعرفة بالأحياء والكيمياء، الأمرالذي أدى إلى ظهور علم جديد يسمى الكيمياء الحيوية، وهكذا فالعلوم دائما في تزايد مستمر.

٨- الإيمان بمبادئ معينة:

أهم هذه المبادئ مبدأ الحتمية، وهذا المبدأ يعني أن كل ظاهرة لابد ان يكون لها سبب.

هذه هي أهم خصائص التفكير العلمي، على الرغم من أنه ليس بالضرورة أن تتوافر جميع هذه الخصائص في كل العلوم بدرجة واحدة، فقد يتوافر بعضها في علم دون بعضها الآخر، وقد تتحقق خاصية منها في علم بصورة أوضح من تحققها في علم آخر.

(حسين علي، ص٣٧، ٢٠١٠م).

## *الفرق بين علم النفس والعلوم الطبيعية:

علم النفس كعلم يدرس النفس الإنسانية، يتعاكس مع العلوم الطبيعية، فالطبيعة والنفس متعاكستان، حيث إن الطبيعة جوهرمادي، أما النفس فإنها غير مادية، وخصائص الطبيعة هي المكان والشكل والمساحة والحركة والامتداد..إلخ،

أما خصائص النفس فهي الوعي والرغبة والإرادة والتفكير وغيرها، وإن الاختلاف بين العلمين هو اختلاف في الموضوع والغاية والمنهج والتطبيق، ففي ميدان العلوم الطبيعية نجد البناء والعقل وروح الهندسة، وفي ميدان العلوم الإنسانية عموما نجد الحدس والتعاطف، والحقيقة في العلوم الطبيعية نجدها قائمة على معرفة نسقية ممنهجة وبشكل واضح ودقيق، وهنا لا يوجد مجال لما يسمى بالمعدل الشخصي، أي بنسبة واضحة من الخطأ، تكون بسبب سلوك أوأحاسيس واستجابات الدارس، إنها معرفة ما هوواقعي، أو معرفة ما هوفرضية محققة تجريبيا ومثبتة، حيث إن العلوم الطبيعية تتناول الأحداث لا الأفكار، وتهتم بالوقائع، فلا يتم الاكتفاء باستعمال المنطق وحده أو الاستدلال، ولا بمراقبة داخلية أو خارجية، حيث إنها معرفة

قابلة للقياس، تخضع للأرقام وللأدوات، يقول الفيزيائي لورد كلفن: «إذا كنت تستطيع أن تقيس ما تتكلم عنه وأن تعبرعنه أيضا برقم فإنك بهذا تعرف شيئا عن موضوعك، وإلا فإن معلوماتك ذات نوع هزيل وفقير، وقليلا جدا ما تكون معلومات مرضية»

(علي زيعور، ص٢٣-٢٥، ١٩٨٠م).

يعتقد قليل من الناس أن العلوم الإنسانية والاجتماعية لن تصبح علمية أبدا، بينما يرى آخرون أنها سوف تحقق تقدما تدريجيا، ولكن دون أن تدرك المستوى الرفيع الذي وصلت إليه العلوم الطبيعية.

يواجه المشتغلون بالعلوم الإنسانية والاجتماعية صعوبات كثيرة، حيث يكافحون في سبيل فهم العوامل الأساسية التي تحكم

السلوك الإنساني، حتى يصبح بإمكانهم تفسير الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بها وضبطها، وتكمن الصعوبة فيما يخص العلوم الإنسانية والاجتماعية في تعقد مادة الدراسة، حيث إن تفسير الظواهرالاجتماعية والإنسانية يحتاج في الغالب إلى شيء آخرغير قوانين الفيزياء أوعلم الفسيولوجيا، حيث إن مادة العلوم الطبيعية أبسط من تلك التي تعالجها العلوم

الإنسانية والاجتماعية، لأن العلوم الطبيعية تتعامل مع الظواهر على مستوى واحد فقط وهو المستوى الفيزيقي، ولا يتضمن هذا المستوى إلاعددا قليلا نسبيا من المتغيرات أو مجموعة الشروط الضرورية لإتمام الحدث، وهذه يمكن قياسها بدقة، أما العلوم الإنسانية والاجتماعية فتتعامل مع حالات أكثر تعقيدا، لأنها تهتم بالإنسان فردا وعضوا في الجماعة، لذلك قد تتضمن المشكلات الإنسانية والاجتماعية عددا كبيرا من المتغيرات التي تغمر الباحث باحتمالات متعددة، ينبغي عيله أن يأخذها في الاعتبار، كما أن من أهم الصعوبات التي تتعلق بالعلوم الإنسانية والاجتماعية هي صعوبة ملاحظة مادة الدراسة، حيث لا يمكن في

مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية رؤية أو سماع أو لمس الظواهر التي حدثت في الماضي، وليس بإمكاننا أن نكرر الأحداث الإنسانية والاجتماعية السابقة، لكي نلاحظها ملاحظة مباشرة، على سبيل المثال إذا أراد أحد علماء النفس أن يعرف أحداث الطفولة لأحد المراهقين فإنه لن يستطيع أن يضع شخصية هذا المراهق في أنبوبة اختبار، لكي يعرف الأحداث الدقيقة التي مر بها هذا المراهق في طفولته، بينما يستطيع المختص في الفيزياء أو الكيمياء أن يعيد الظروف المرغوبة مرات عديدة، وأن يلاحظ ما يجري ملاحظة مباشرة، كذلك من أسباب الصعوبات هوأن

الظواهر الإنسانية والاجتماعية تتأثر برغبة الإنسان وإرادته وقراراته، بعكس العلوم الطبيعية التي لا تتأثر برغبة الإنسان وإرادته، إن العلوم الإنسانية والاجتماعية تواجه أنماطا من المشكلات لا تواجهها العلوم الطبيعية، لأنها تتعلق بالإنسان، وهو مخلوق له أغراضه وقيمه، لذلك يجب على المختصين والعلماء في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية أن يتغلبوا على العقبات الكثيرة، إذا كانوا يريدون أن يحققوا تقدما كبيرا في تفسير السلوك الإنساني والتنبؤ به وضبطه، ولن يتم ذلك إلا عن طريق البحث الجاد والمستمر، وإن التقدم السريع في هذا العصر قد أنتج مشكلات إنسانية واجتماعية معقدة، لذلك فإن الحاجة ماسة لمزيد من البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية للمساهمة في تقديم الحلول والعلاج.

(فان دالين، ص٨٨-٩٤، ٢٠٠٧م).

بغض النظر عن مسألة مدى علمية (علم النفس) واعتباره علما مستقلا أم أنه ما زال في أحضان الفلسفة، فإن علم النفس سيظل وسيبقى من أهم المجالات والعلوم إن لم يكن هو أهمها وعلى رأسها، وذلك لدخول علم النفس في جميع مجالات الحياة التعليمية والتربوية والطبية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وما يترتب على عدم الاهتمام بهذا العلم من حدوث مشكلات نفسية واجتماعية تؤدي بالمجتمع بأسره إلى عواقب وخيمة،

فكم من إنسان عادت له بسمته وفرحته التي فقدها منذ سنين بفضل علم النفس والمختصين فيه، وكم من شخص كان على وشك إنهاء حياته بالانتحار، فعاد قويا متماسكا ومحبا للحياة بفضل علم النفس والمختصين فيه، وكم من موظف استطاع أن ينال رضى رئيسه في العمل ويترقى سريعا قبل زملائه بفضل ما تعلمه من مهارات نفسية، وقد صدق ابن باجة في وصفه لعلم النفس عندما وصفه بأنه أشرف العلوم.

ويجب على المختصين في علم النفس أن يحموا هذا العلم من دخول غير المختصين به، هؤلاء الذين قد ساهموا وللأسف في تشويه صورة هذا العلم، ويجب أيضاعليهم التوضيح لعامة الناس أن ما يسمى بعلوم الطاقة والبرمجة اللغوية العصبية وغيرها ليست من علم النفس، وعلم النفس منها براء.

## *تطورعلم النفس واستقلاله عن الفلسفة:

كان على علم النفس لكي يتخلص من تبعيته للفلسفة أن يطور منهجا أكثر دقة وموضوعية لمعالجة مشكلاته، ففي عام ١٨٧٩م قام وليام فونت بإنشاء أول معمل لعلم النفس في ألمانيا، وأنشأ كذلك في عام ١٨٨٠ أول مجلة في علم النفس وأسماها (دراسات فلسفية)، وفي الفترة ين عامي ١٨٨٠ و ١٨٩٥حدثت تغيرات هائلة وسريعة في ميدان علم النفس في أميركا، ففي تلك الفترة تم إنشاء ٢٤ معملا سيكولوجيا، وثلاث مجلات لعلم النفس، وفي عام ١٨٩٢ تأسست أول منظمة علمية لعلماء النفس، وهي(الرابطة الأمريكية لعلم النفس)، وفي عام ١٨٠٩ ظهر أول تعريف لعلم النفس حدده وليام ماكدوجل على أن علم النفس هو علم دراسة السلوك، ومع مطلع القرن العشرين نجح علم النفس في أن يحقق استقلاله عن الفلسفة، ويطور معامله التي يستخدم فيها الطرق العلمية، ويحدد أدواته وطرقه(طلعت منصور وآخرون، ص٣٧-٣٨، ٢٠١١م).

## وسنتناول المدارس والنظريات النفسية من الأقدم حتى الأحدث:

١- المدرسة البنائية:

البنائية هي نظرية نفسية،اجتماعية، مؤسسها الألماني وليام فونت (١٨٣٢-١٩٢٠م)، وقداستفاد فونت من دراسات علماء الفسيولوجيا أمثال هلموهلتز،ومولر، حيث أخذعنهم أسلوبهم المعملي في الدراسة، فقام بتأسيس أول معمل لعلم النفس في عام ١٨٧٩، حيث احتوى هذاالمعمل على أجهزة وأدوات خاصة لإجراء تجارب على الحواس المختلفة من سمع ولمس وبصر، وتجارب لأخرى على كيفية التذكروالتعلم والتفكير والانتباه، وكذلك قياس سرعة النبض والتنفس أثناءالانفعال، وقد كان الهدف الرئيسي لفونت هوتحليل الخبرة الشعورية أوالوعي إلى عناصره الأساسية،من أجل معرفة العلاقة بين هذه العناصرالمختلفة، ولذلك تم استخدام منهج الاستبطان.

(الفقي، ص١١٦-١١٧، ٢٠٠٩م).

ويقول فونت:» إن على علم النفس أن يبحث عمانسميه

بالخبرة الداخلية،وأعني إحساسنا ومشاعرنا الخاصة وأفكارنا، وذلك تمييزا لهاعن الخبرة الخارجية التي تكون موضوع العلوم الطبيعية»

(فاخرعاقل، ص٤٤، ١٩٨٣م).

٢- المدرسة الوظيفية:

هذه المدرسة تهتم بدراسة العقل من خلال وظائفه، وكيفية استخدام العقل في تحقيق التكيف مع البيئة، ونشأت هذه المدرسة في عام ١٨٥٠م، ومؤسس هذه المدرسة هوالأمريكي وليام جيمس، ويعرف وليام جيمس علم النفس بأنه علم الحياة العقلية، وهذه المدرسة لا تقف عند العناصر التي تشكل حالات الوعي التي تركز عليها البنائية، وإنما تشدد على دينامية الوعي، فهي ضد السكون وعدم الحركة، وتؤكد هذه المدرسة على ضرورة استخدام منهج البحث العلمي، وهذه المدرسة تؤكد على أهمية دراسة العقل على أساس التلاؤم البيولوجي، لكي يصبح بالإمكان تفسير الوعي من خلال الإجابة عن السؤال ماذا يعمل العقل وكيف يعمل؟

(الفقي، ص١٣٧-١٣٨، ٢٠٠٩م).

ويعتبر الوعي هو أهم ما تحدث عنه وليام جيمس، حيث يرى

جيمس أن الوعي لا يوجد فيه وحدات منفصلة، فكل حالة ترتبط بالكل وتتأثر به، ويرى أن الوعي مستمر ومتواصل، فالوعي الذي يأتي بعد أي شعور يشعر به الإنسان، فإن ذلك الوعي يكون متصلا بذلك الوعي الذي سبق هذا الشعور، ويرى أن الوعي يهتم بمختلف العناصرالتي تشكل محتواه، فهو يهتم بهذا أكثر من ذاك، أو يأخذ هذا ويهمل الآخر، وذلك لأن الوعي يختار، واختياره يكون بصورة عفوية.

(علي زيعور، ص١٢١-١٢٢، ١٩٨٠م).

وينظر جيمس إلى الوعي مثل نظرته إلى أعضاء الجسم وأجهزته، فيرى أن الوعي هو أداة تتوسط علاقة الفرد بمحيطه الذي يعيش فيه وتسهم في تكيفه وتوازنه معه، ويشير إلى أن الإنسان كائن يحس ويشعر ويفكر، وليس كائنا عقليا محضا، بل إن الإنسان يخضع للعوامل الانفعالية والعاطفية، فتفكير الإنسان يتأثر بالدوافع والحاجات، وينظر وليام جيمس للانفعالات على أنها المصدر الذي يؤدي إلى حدوث التغيرات الفسيولوجية في أجهزة الجسم المختلفة، وليست الانفعالات هي الناتج عن تلك التغيرات الفسيولوجية، فبدلا من أن يكون البكاء نتيجة الحزن، والضحك نتيجة الفرح، فإن جيمس يرى أن العكس هو الصحيح، أي أن البكاء هو السبب في حدوث الحزن، والضحك هو السبب

في حدوث الفرح، وكان جيمس يرى أن اتجاه علم النفس ينبغي أن يكون فسيولوجيا، وذلك لأن المخ هو الأساس في العمليات العقلية.

(الفقي، ص١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ٢٠٠٩م).

وكذلك من أبرز العلماء الذين يؤيدون الاتجاه الفسيولوجي لعلم النفس بلنسكي(١٨٤٨-١٨١١)، وهو عالم روسي، وكان يرى أن علم النفس يجب أن يقوم على أساس علم الفسيولوجيا وعلم التشريح، وذلك لأن النشاط العقلي من تفكير وإدراك ما هو إلا مظاهر نشاط المخ، وأيضا العالم الروسي ششنوف(١٩٠٥-١٨٢٩) الذي كان يرى أن الحياة النفسية قائمة على أساس الجهاز العصبي الذي يتم استثارته عن طريق المثيرات المحيطة به، وكان يقسم الحياة النفسية إلى قسمين، الأول وهو الجانب العقلي، ويتضمن الإحساس والإدراك والتذكر والتفكير، والقسم الثاني هو الجانب الانفعالي، ويتضمن الخوف والسرور والحب والنشوة والبهجة والحماس، وجميع هذه الوظائف لكلا الجانبين العقلي والانفعالي إنما تنتج عن المخ الذي يسيطرعلى الإنسان كله.

(محمد شحاته، ص٣٠٣، ٣٠٥، ٢٠١١م).

٣- المدرسة الترابطية:

نشأت هذه المدرسة في إنجلترا، وهذه المدرسة تفسر السلوك باعتباره سلسلة متصلة من العمليات العقلية المترابطة، ويرجع أصلها إلى تفسيرعلماء الفسيولوجيا للتصرفات الحسية والحركية باعتبارها سلسلة من التوصيلات المتلاحقة التي تنتقل في أجزاء الجهاز العصبي وأجهزة الحس والحركة، وأبرز ما في هذه المدرسة أنها ترى أن الحياة العقلية ليست عناصر مستقلة، وإنما تقوم التصرفات العقلية على أساس ما يحدث من ترابط بين المكونات العقلية سواء أكانت هذه المكونات أفكارا أم صورا ذهنية، وسواء أكانت تصرفات حسية أم حركية.

(جمال فرغل، السر أحمد، ص٤٠-٤١، ٢٠٠٧م).

٤- المدرسة التحليلية:

مؤسس هذه المدرسة هو سيجموندفرويد، وهذه المدرسة تهتم وتركزعلى اللاشعور، ويرى فرويد أن الشخصية لها ثلاثة أنظمة فرعية، الهو ويحتوي على الدوافع الفطرية، الأنا ويختص بإدراك الواقع والتمييز بين الأشياء والموضوعات، الأنا الأعلى ويختص بالقيم والضمير، وقد تحدث فرويد عن ميكانيزمات الدفاع، وهي الأنماط السلوكية التي يلجأ اليها الفرد عندما

يشعر بالخطر، وهي، النكوص، والكبت، وتكوين رد الفعل، والإسقاط، والتقمص، والتبرير، والإعلاء.

(طلعت منصور وآخرون، ص٣٦٩-٣٧٨، ٢٠١١م).

٥- المدرسة الغرضية:

بدأت هذه المدرسة في عام ١٩٠٨ في بريطانيا، وترى هذه المدرسة أن الغاية أوالغرض هوالذي يحدد السلوك ويوجهه، لأن سلوك الكائن الحي يهدف إلى غرض ما وغاية محددة، وقديكون هذاالغرض واضحا في دائرة الشعور،وقديكون لاشعوريا، ولايمكن فهم السلوك وتفسيره إلامن خلال الغايات والأهداف، ومن أشهرعلماءهذه المدرسة، العالم الاسكتلندي وليام ماكدوجل، حيث يرى ماكدوجل أن الإنسان مزود بمجموعة استعدادات فطرية تعرف بالغرائزأوالدوافع ومايشتق منها من عواطف، وهي التي تحدد سلوك الإنسان، ويؤكد ماكدوجل أن غاية سلوك الكائن الحي هي البقاءوالحياة.

(خليل ميخائيل،ص٣٣، ٢٠٠١م).

ويعرف ماكدوجل علم النفس بأنه العلم الوضعي لدراسة سلوك الكائنات الحية، وكان يرفض منهج الاستبطان، ويرى

أن الأفضل هو الاعتماد على الطرق الموضوعية وملاحظة سلوك البشروالحيوانات من جميع الأجناس وفي جميع الظروف.

(فاخر عاقل، ص٩٧-٩٨، ١٩٨٣م).

٦- المدرسة السلوكية:

مؤسسها هو الأمريكي جون واطسن، وترفض هذه المدرسة منهج الاستبطان كوسيلة للبحث في السلوك الإنساني، فالسلوك من وجهة نظر هذه المدرسة لا يعتمد على المشاعر والخبرات الداخلية، بل يعتمد على السلوك الخارجي الظاهر الذي يقوم على أساس المثيرات أوالمنبهات والاستجابات، كذلك تنظر هذه المدرسة للكائن الحي في تفسيرسلوكه وفق المثيرات الفيزيقية، تصدر عنها استجابات وتغيرات فسيولوجية، حيث إن اتجاه هذه المدرسة هو إخضاع العمليات النفسية للعوامل الفسيولوجية، وتركز هذه المدرسة على أثر البيئة وعمليات التعلم في نمو الفرد وفي تكوين شخصيته.

(خليل ميخائيل، ص٣٢-٣٣، ٢٠٠١م).

٧- المدرسة الشكلية (الجشتالت):

ظهرت هذه المدرسة في ألمانيا في بداية القرن العشرين،

وكلمة جشتالت هي كلمة ألمانية وتعني الكل أو الصيغة أو الشكل، وأهم رواد هذه المدرسة، كوفكا، كوهلر، فرتهيمر، وتقوم هذه المدرسة على أساس أن السلوك الإنساني هو وحدة كلية وليس مجرد أجزاء مترابطة ومتصلة ببعضها، وترى هذه المدرسة أن الكل أكبر من مجموع الأجزاء، وأن أي تغير في الجزء يتبعه تغير في الكل العام.

(جمال فرغل، السر أحمد، ص٣٩-٤٠، ٢٠٠٧م).

وترى هذه المدرسة أن حل المشكلات يأتي نتيجة الإدراك الكلي والاستبصار للمواقف، وليس نتيجة لإدراك أجزاء من الموقف، وتؤكد هذه المدرسة على عدم فصل الكائن عن بيئته، لأن سلوك الإنسان في أي موقف هو نتيجة تفاعل الفرد مع ما يحيط به.

(الفقي، ص١٦١-١٦٢، ٢٠٠٩م).

٨- المدرسة الإنسانية:

تهتم هذه المدرسة بدور الخبرة الذاتية للفرد، ومشكلاته الأساسية كالقلق، وحريته في اتخاذ قراراته لحل المشكلات، وتركز هذه المدرسة على الطرق التي تؤدي بالفرد إلى التكيف، ومن المبادئ التي تؤمن بها هذه المدرسة، التأكيد على أهمية

الخصائص الإنسانية المميزة مثل الاختياروالابتكار وتحقيق الذات، والتأكيد على قيمة الإنسان وقيمته مع الاهتمام بتنمية القوى والإمكانات الموجودة عند الإنسان.

(الفقي، ص٢٢٩-٢٣٠، ٢٠٠٩م).

# المراجع

١. آرمسترونغ، أ. (٢٠٠٩م). مدخل إلى الفلسفة القديمة. ط١. (ترجمة سعيد الغانمي). أبو ظبي: كلمة والمركز الثقافي العربي. (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٤٧م).

٢. بيتر بوركاد، ف، كونزمان، ب، فايس، أ. (٢٠١٢م). أطلس الفلسفة. ط٣. (ترجمة جورج كتورة). بيروت: المكتبة الشرقية. (العمل الأصلي نشر في عام ١٩٩١م).

٣. حسيبة، مصطفى. (٢٠١٢م). المعجم الفلسفي. عمان: دار أسامة.

٤. ديورانت، و. (٢٠٠٤م). قصة الفلسفة. ط١. (ترجمة فتح الله محمد المشعشع). بيروت: مكتبة المعارف.

٥. ربيع، محمد شحاته. (٢٠٠٤م). التراث النفسي عند علماء المسلمين. ط٤، القاهرة: دار غريب.

٦.ربيع،محمد شحاته.(٢٠١١م).المرجع في علم النفس التجريبي.عمان:دار المسيرة.

٧.زيعور،علي.(١٩٨٠م).مذاهب علم النفس.ط٣،بيروت:دار الأندلس.

٨.سليمان،السر أحمد،الهواري،جمال فرغل.(٢٠٠٧م). المدخل إلى علم النفس.ط١،الرياض:مكتبة الرشد.

٩.عاقل،فاخر.(١٩٨٣م).مدارس علم النفس.ط٦،بيروت:دار العلم للملايين.

١٠.عبدالمعطي،حسن مصطفى.(١٩٩٨م).علم النفس الإكلينيكي.القاهرة:دار قباء.

١١.علي،حسين.(٢٠١٠م).منهج الاستقراء العلمي. ط١،بيروت: التنوير للطباعة والنشر.

١٢.فان دالين،د،ب.(٢٠٠٧م).مناهج البحث في التربية وعلم النفس.(ترجمة محمد نبيل نوفل،سلمان الخضري الشيخ،طلعت منصور غبريال).القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية.

١٣.الفقي،إسماعيل.(٢٠٠٩م).تاريخ علم النفس الحديث.
القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية.

١٤.معوض،خليل ميخائيل.(٢٠٠١م).علم النفس العام.
ط١،الإسكندرية:مركز الإسكندرية للكتاب.

١٥.منتصر،عبدالحليم.(١٩٧٣م).تاريخ العلم ودور العلماء
العرب في تقدمه.ط٥،القاهرة:دار المعارف.

١٦.منصور،طلعت،الشرقاوي،أنور،عزالدين،عادل،أبوعوف،فا
روق.(٢٠١١م).أسس علم النفس العام.القاهرة:مكتبة الأنجلو
المصرية.

١٧.النجار،ابراهيم يوسف.(٢٠١٣م).مدخل إلى الفلسفة.
ط٢،الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي.